

في التاريخ السياسي :

الحرب الأهلية الإسبانية

وخطرها على السلام

بقلم باحث دبلوماسي كبير

حينما اضطرت الحرب الأهلية الإسبانية في أواخر يولية الماضي ، لحنا في حوادثها منذ البداية عوامل معركة دولية خطيرة وكنا يومئذ نتلمس القرائن والإدلة لتأييد هذا الرأي ، لأن العوامل الدولية التي كانت وراء هذه المأساة لم تكن قد وضحت بعد بصورة جلية ، بيد أنه لم تمض عدة أسابيع على ذلك ، حتى تكشف هذه العوامل واضحة ، وحتى بدأ أصبح إيطاليا وألمانيا ظاهراً وراء الثورة الإسبانية يذكي ضرامها ويمدها بكل صنوف المعاونة العسكرية والسياسية ، وحتى بدت روسيا السوفيتية في جهة أخرى وراء الجبهة الجمهورية الإسبانية تؤيدها بكل ما وسعت وتمدها بالأسلحة والذخائر والفنيين ، وحتى بدت انكلترا وفرنسا أيضاً من وراء الجبهة الجمهورية تمدها بعونها السياسي والأدبي . وآثرت انكلترا وفرنسا الأخذ بسياسة عدم التدخل في المشكلة الإسبانية ونجحتا في حل الدول الأخرى أعني إيطاليا وألمانيا وروسيا والبرتغال على إقرار هذه السياسة ، وتألفت لجنة عدم التدخل الدولية في لندن . وبينما كانت هذه اللجنة تسير في مباحثها وقراراتها يبط. وتسويف ظاهرين كانت المعركة الدولية في إسبانيا تتفاقم يوماً بعد يوم ويتوالى نزول القوات الإيطالية والألمانية في الثغور الإسبانية لتشد أزر الجبهة الثورية ، وتتوالى الامدادات الروسية لتشد أزر الجبهة الجمهورية ويتسع تدخل إيطاليا وألمانيا في إسبانيا نفسها ، وفي جزر البليار ومراكش الإسبانية بشكل يزعج فرنسا وانكلترا . عندئذ خطت السياسة البريطانية خطوة أخرى واستطاعت بعد مفاوضات ومباحثات طويلة أن تحل الدول الممثلة في لجنة عدم التدخل على إقرار مشروع دولي

لرقابة الشواطئ والحدود الإسبانية وذلك لمنع الامدادات الأجنبية عن الفريقين المتحاربين ، وتطبيق سياسة عدم التدخل بطريقة فعلية ، وترك المشكلة الإسبانية بحلها الشعب الإسباني وحده ، وبذلك تحصر الحرب في إسبانيا ، ويحمى السلام الدولي من عواقبها .

ونفذ مشروع الرقابة الدولية منذ عدة أسابيع . واشتركت فيه انكلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا والبرتغال ، وحصرت الشواطئ والحدود الإسبانية على يد السفن الدولية والمراقبين الدوليين . ولكن الواقع أن إيطاليا وألمانيا كانتا قد بعثتا إلى إسبانيا قبل تنفيذ مشروع الرقابة من القوات العسكرية والجوية لمعاونة الجنرال فرانكو زعيم الثورة الإسبانية ما اعتقدتا أنه كاف لاحتراز الجبهة الثائرة النصر النهائي على الجمهوريين وإقامة الحكم الفاشستي المنشود في إسبانيا على أنقاض الحكم الجمهوري ، بل ظهر أن إيطاليا وألمانيا لم تكفا عن إرسال الامداد حتى بعد أن نفذ مشروع الرقابة ، على أن الرقابة الدوائية أفادت في تضيق نطاق المعاونات الخارجية ، وحصرت احتمالات الحرب الأهلية نوعاً .

وفي أثناء ذلك حاولت السياسة البريطانية أن تتقدم خطوة جديدة في تصفية المشكلة الإسبانية ، فقدمت إلى الدول اقترانها بسحب جميع الجنود الأجانب من إسبانيا سواء منهم من يحارب مع الجنرال فرانكو أو مع حكومة مدريد ؛ فرفضت إيطاليا النظر في الاقتراح ، وأجابت الصحف الإيطالية بأن الجنود الإيطالية لن تغادر إسبانيا قبل أن يحرز الجنرال فرانكو النصر النهائي . والمعروف المحقق أن لا إيطاليا في إسبانيا جيشاً لا يقل عن مائة وعشرين ألف مقاتل ، هذا عدا القوات الألمانية وهي تقدر بنحو ثلاثين ألفاً ، وهذه القوى الأجنبية هي عصب الثورة الإسبانية وهي سند الجنرال فرانكو ؛ وقد أبدت ألمانيا وإيطاليا في غير فرصة سواء في التصريحات الرسمية أو عن طريق الصحافة أنها لن تدخر وسعاً في تأييد الجنرال فرانكو حتى يحرز النصر النهائي ، وحتى تقوم في مدريد حكومة فاشستية ، ولم يبق ريب بعد أن الثورة الإسبانية إنما

وان كان في الانباء الأخيرة ما يدل على أن بلباو قد
لاستطيع المقاومة طويلا

قلنا إن الفاشستية الإيطالية تزعم أنها لن تتخلى عن الجنرال
فرانكو حتى يحرز النصر النهائي، وتزعم إيطاليا وألمانيا معاً
أنهما لن تسمحا، بأقامة حكومة بلشفية في اسبانيا تهدد سلام
غرب أوروبا؛ وهما تصفان حكومة اسبانيا الجمهورية بالحكومة
البلشفية لأنها تستمد العون من حكومة موسكو، وتلك دعاية
مغرضة كما أسلفنا في فرص سابقة، فالجبهة الاسبانية الجمهورية
هي جبهة الشعب الاسباني التي تحاول الفاشستية تحطيمها على
يد الجنرال فرانكو، وإذا كان في الجبهة الجمهورية عنصر
شيوعي فهو أقلية سياسية، كما هو الشأن في معظم الدول
الديموقراطية؛ وإذا كانت الجبهة الجمهورية تعتمد على مؤازرة
روسيا السوفيتية، فلأنها الدولة الوحيدة التي سارعت لتجديتها
في محتتها، ولأن روسيا ليست لها مطامع استعمارية في اسبانيا
بل يحدها إلى هذا العون معركة المبادئ والمثل، فهي في
اسبانيا تضرب الفاشستية الد وأخطر خصومها على أنه إذا
كانت الفاشستية تزعم أنها لن تتخلى عن فرانكو حتى يحرز
النصر النهائي، فإن السياسة البريطانية من جهة أخرى تبدي
صراحة أنها لن تسمح باتهاك استقلال اسبانيا أو الاعتداء
على سلامة أراضيها؛ وهذا ما صرح به أخيراً مستر أيدين
وزير الخارجية البريطانية في مجلس العموم، ومعنى ذلك أن
بريطانيا لن تسمح بفوز الجنرال فرانكو، لأن هذا الفوز
الذي تدعمه الحراب الأجنبية يعقبه تحقيق بعض المطامع
الإيطالية في جزر البليار وربما في مراكز الاسبانية؛ وانكلترا
مع تمسكها بسياسة الحيطة وعدم التدخل في المسألة الاسبانية،
لا تخفى عطفها على حكومة بلنسية، وفي ذلك تؤازرها فرنسا
بل ربما ذهبت فرنسا إلى أكثر من هذا العطف في معاونة
الجبهة الجمهورية، وإذا كانت انكلترا وفرنسا تقفان في الميدان
الدولي إلى جانب اسبانيا الجمهورية، فإن ذلك لا يرجع إلى
لونهما الديموقراطي ولا إلى معركة المبادئ فقط، بل يرجع

هي محاولة عسكرية فاشستية تدبرها الفاشستية الإيطالية
والألمانية، وأن الجنرال فرانكو إنما هو أداة هذه السياسة
الأجنبية؛ فالثورة الاسبانية تفقد بذلك كثيراً من صبغتها
الوطنية، وتفقد عطف الديموقراطية، والعالم المتعدن الذي
يعرف وسائل الفاشستية وأساليبها الممجية وجنوحها إلى
العنف والعدوان، ويقدر خطرهما على السلام العام

ولكن هل تنجح الفاشستية في هذه المحاولة الدموية؟
لقد مضى على الثورة الاسبانية التي دبرتها الفاشستية وسلحتها
أحد عشر شهراً، واستطاع الجنرال فرانكو بمؤازرة معاونه
الأجانب أن يستولوا على نصف الأراضي الاسبانية؛ ولكنه
لم يحرز حتى اليوم أي نصر حاسم، بل فشل في كل محاولة
خطيرة قام بها لتحطيم قوى الجمهورية، وكان مقدراً أن الثورة
لن تستغرق في تنفيذ برنامجها أكثر من عدة أسابيع، ولكن
مضت الأسابيع والأشهر، وتحطم هجوم الجنرال فرانكو
على مدريد ولقي الثوار أكثر من هزيمة شديدة أمام العاصمة
ومزقت الوحدات الإيطالية في وادي الحجارة شر ممزق؛
وعندئذ فكر الحلفاء في مهاجمة ناجية أخرى من الجبهة
الجمهورية، فنظم فرانكو هجومه على بلاد الباسك منذ أكثر
من شهرين، وحاول أن يطوقها من البر والبحر؛ ولكن
قوات الباسك خيبت آمال المهاجمين، وردتهم غير مرة، وانتقم
فرانكو وحلفاؤه من الجمهورية الصغيرة الباسلة بتخريب
بلادها وضياعها، وأحرق الطيارون الألمان المدن والقرى
الباسكية من الجو بطريقة وندالية أثارت سخط العالم المتعدن
وكان فرانكو يقدر أنه بحصار بلباو من البحر يمهّد لافتتاحها
بسرعة وأنه كما حدث من الهجوم على مالطة يستطيع الاعتماد
على معاونة الغواصات الإيطالية، ولكن انجلترا التي خشيت
على مصالحها ومناجها العظيمة في هذه المنطقة بعثت بوارجها
الكبرى إلى مياه بلباو، وأنكرت حق حكومة فرانكو في
محاصرتها وخرقت السفن الانكليزية الحصار وأمدت المدينة
المحصورة بالأطعمة، وعاونت على إخلائها من غير المحاربين؛
وما زالت قوات الباسك تصمد للمهاجمين وتكبدهم أفدح الخسائر،

بالأخص إلى خوفهما من غلة الفاشستية في أسبانيا، وما تهدد به مصالحهما الاستعمارية ومواصلتهما في غرب البحر الأبيض المتوسط.

ومن جهة أخرى فإن انكلترا وفرنسا تخشيان على مصير السلام من تفاقم الحوادث الأسبانية. ولقد تجلّى هذا الحرص على السلام في حادث البارجة الألمانية دويتشلاند، فقد ألقت طائرات حكومة بلنسية القنابل على هذه البارجة أثناء رسوها في ميناء أيبزا بجزيرة ميورقة فقتلت من بحارتها خمسة وعشرين وجرح عدد آخر؛ وثارت ألمانيا لهذا الاعتداء فلم يمض يومان حتى ضربت بوارجها نغر ألمرية الأسباني على حين فجأة ضرباً شديداً فقتلت وجرحت من أهلها المسلمين مئات وخربت قسماً كبيراً منها؛ وعلى أثر ذلك أعلنت ألمانيا وإيطاليا انسحابهما من لجنة عدم التدخل حتى توضع الضمانات الكفيلة بحماية بوارجهما؛ وكان لهذا الاعتداء الذي يشبه أعمال القرصنة من جانب البوارج الألمانية وقع عميق في الأوساط الدولية، لأنه حتى مع التسليم بأن ألمانيا قد اعتدى عليها في حادث البارجة دويتشلاند، فإنها لم تقدم بطلب الترضية الودية ولم تقدم إلى حكومة بلنسية إنذاراً بها كما يقضى بذلك القانون الدولي، ولم يسبق في قانون الأمم أن اعترف بحق الانتقام من المدن الآمنة دون أن تكون هناك حرب شرعية بين الخصوم. خصوصاً إذا وقع الانتقام على النساء والأطفال كما حدث في ضرب ألمرية. ومن الغريب أن تنفرد ألمانيا بمثل هذا التصرف لاعتداء وقع على إحدى سفنها تبرره حكومة بلنسية بوجود هذه السفينة في إحدى الموانئ التي يد خصومها الوطنيين، مع أن مثل هذا الاعتداء قد وقع من قبل في أكثر من فرصة على السفن الانكليزية ولم تندفع في مثل هذا الانتقام الوحشي

على أن انجلترا أرأت مع ذلك أن تتفادى عواقب هذا المشكل الخطر، وأن تعمل على رد ألمانيا وإيطاليا إلى لجنة عدم التدخل، فوضعت مشروعاً جديداً يقضى بتعيين مناطق

أمنة تستطيع السفن المشتركة في المراقبة أن تلجأ إليها ويحترما الفريقان المتحاربان، ويعترف المشروع فوق ذلك بحق الدفاع الشرعي للسفن التي يعتدى عليها وقت الاعتداء فقط، ولكن الاجراءات اللاحقة تكون موضع بحث بين الدول، وتدل الأنباء الأخيرة على أن ألمانيا وإيطاليا قبلتا هذا المشروع، وقررنا العودة إلى لجنة عدم التدخل، وبذلك تكون السياسة الانكليزية قد استطاعت أن تتفادى عواقب هذا الاحتكاك الخطر بين ألمانيا وحكومة بلنسية.

على أن المأساة الأسبانية ما زالت مفعمة بالآخطار والمفاجآت. والخطر في هذه المأساة هي صيغتها الدولية، التي أشرنا إليها. فالصراع الدولي بين الجبهتين الاوربيتين الفاشستية والديموقراطية مازال قائماً، وإذا لم تبدل الدبلوماسية الأوربية جهوداً جديدة لإخراج القوات الأجنبية من أسبانيا، وترك أسبانيا تقرر مصيرها بيدها، فسوف تبقى المشكلة الأسبانية خطراً دائماً على السلم الأوربي.

علم التاريخ

أتمت لجنة التأليف والترجمة والنشر طبع الرسالة السابعة من خلاصة العلم الحديث وموضوعها علم التاريخ، وهي تبحث في التاريخ من حيث هو علم، وفي أغراضه وطرائقه وتاريخه من أقدم العصور وقوائمه وعلاقته بغيره من العلوم، وضمها بالانجليزية الأستاذ هرتشو وترجمها وعلق حواشيها وأضاف إليها فصلاً في التاريخ عند العرب.

ومن الكتاب ٨ قروش صاغ عدا أجرة البريد
ويطلب من دار اللجنة رقم ١٣ بشارع الكرداسي
ومن المكاتب الشهيرة